محاضرة بعنوان ثمار الصيام للشيخ محمد بن رمزان الهاجري

محاضرة بعنوان ثمار الصيام

لفضيلة الشيخ محمد بن رمزان الهاجري

متعه الله بالصحة والعافية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

عُنْونَ لهذه المحاضرة بثمار الصيام:

نختصرها في مجموعة من الأمور.

١ـ من ثمار الصيام التقوى.[١]

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣].

---

(١) والتقوى: هي كما قال طلق بن حبيب: ((إذا وقعت الفتن، فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله)). رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٠٩٩٣).
وكما قال القائل:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى
تقلب عـــريانـــا وإن كان كاسـيا
وخـير لباس المــرء طاعة ربــه
ولا خير فيمن كان لله عاصيـــا

٢ـ ومن ثمار الصيام مغفرة الذنوب.[١]

٣ـ ومن ثمار الصيام ازدياد الحسنات.

٤ـ ومن ثمار الصيام تقوية العزيمة.

٥ـ ومن ثمار الصيام أن هناك بابا من أبواب الجنة، واسمه باب الريان، لا يدخل منه إلا الصائمون.[٢]

٦ـ ومن ثمار الصيام أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، ويدافع عنه.[٣]

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه برقم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر)).
وأخرج البخاري في صحيحه برقم (٣٨)، ومسلم في صحيحه برقم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ: ((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)).
وأخرج البخاري في صحيحه برقم (١٩٠١)، ومسلم في صحيحه برقم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه)).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٨٩٦)، ومسلم في صحيحه برقم (١١٥٢) من حديث سعل بن سعد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((إن في الجنة بابا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)).

(٣) عن عبدِ الله بن عمروٍ ـ رضي الله عنهما ـ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "الصيامُ والقرآنُ يشفعان للعبدِ يومَ القيامةِ، يقول الصيامُ: أي ربِّ منعتُه الطعامَ والشهوةَ، فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعتُه النومَ بالليل، فشفعني فيه، قال: فَيُشَفَّعان". رواه أحمد والطبراني في "الكبير"، ورجاله محتج بهم في "الصحيح". ورواه ابن أبي الدنيا في "كتاب الجوع" وغيره بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم". قال الشيخ الألباني: (حسن صحيح).
صحيح الترغيب والترهيب ٩٨٤.

٧ـ ومن ثمار الصيام أنه يُصلح البدن، ويُبرئ من الأسقام، ويقرِّب العبد من الله ﷻ.(١)

٨ـ ومن ثمار الصيام أنه عمل يُدَّخر لك عند الله، لا يُزاحمك عليه أحد.

الصوم قربة عظيمة لا تمر بك كفريضة إلا مرة في السنة، وهو من العبادات السنوية، لأن العبادات فيها يومية، وفيها أسبوعية، وفيها شهرية، وفيها سنوية، فصيام رمضان لا يمر بك إلا مرة واحدة في السنة، صحيح هناك صيام النافلة لكنَّه ليس كصيام رمضان.

٩ـ ومن ثمار الصيام أنه يربيك على الصبر، ولذلك هو شهر الصبر، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠].(٢)

١٠ـ ومن ثمار الصيام أنه من الأعمال التي لا تدخل في المُقاصَّة، تعرفون ما المقاصة؟ عندما يقتص الناس بعضهم من بعض، يكون القصاص حسنات وسيئات، أجر الصائم لا يدخل في ذلك لأنه لله،

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره عند قول الله ﷻ : ((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون))؛ لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان، ولهذا ثبت في الصحيحين: ((يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)) ثم بين مقدار الصوم، وأنه ليس في كل يوم، لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه، بل في أيام معدودات. وقد كان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام، ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان، كما سيأتي بيانه. وقد روي أن الصيام كان أولا كما كان عليه الأمم قبلنا، من كل شهر ثلاثة أيام ـ عن معاذ، وابن مسعود، وابن عباس، وعطاء، وقتادة، والضحاك بن مزاحم. وزاد: لم يزل هذا مشروعا من زمن نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان. (تفسير ابن كثير ص٢٧٩).

(٢) قال ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ: ((كون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة بغير حصر عدد فإن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠] ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر)). (لطائف المعارف ص ١٥٠/١).

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: [كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به][1]، الصوم أجره لا يدخل في المقاصَّة، فأكثر من الصيام فإنه من الأعمال التي أجورها لا تدخل في المقاصَّة، لتبقى لك رصيدًا عند الله ﷻ.[2]

١١ـ ومن ثمار الصِّيام أنه يُهذِّبُ النفوس، فتترك ما تشتهيه من أكل، وشرب، وممارسة ما أحل الله لك مع أهلك، يأتي الصوم ليربي النفوس، فتترك ما هو حلال مباح لتتأدب نفسك فترتقي، فكما أنك تركت المباح الحلال، فمن باب أولى أنك ستبتعد عن الحرام الذي هو في الأصل حرام، ابتعادك عنه مع أنه شهوة من شهوات النفس التي ابتلينا بها يعتبر جهادا عظيما.

١٢ـ ومن ثمار الصيام رفعة الدرجات عند الله في الدنيا ويوم القيامة، فهؤلاء يرفعهم الله ﷻ، لأن العمل الصالح يزيد العبد رفعة عند الله ﷻ وقربة في الدنيا والآخرة.

الصوم من الأعمال التي ليس فيا ما يُمتدح به الإنسان عند الآخرين، بمعنى لا يطيقه المنافق في الخلوة، ولذلك هو من الأعمال التي يسمو فيها الإخلاص، يقول العلماء: قوله ﷻ في الحديث القدسي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٩٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) قال ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ : ((ومن أحسن ما قيل في ذلك ما قاله سفيان بن عيينة رحمه الله قال: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها: "إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله عز وجل ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة" خرجه البيهقي في شعب الإيمان وغيره وعلى هذا فيكون المعنى: أن الصيام لله عز وجل فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عز وجل وحينئذ فقد يقال: إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها فلا يبقى لها أجر فإنه روي: أنه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض فإن بقي من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها إلى الجنة قاله سعيد بن جبير وغيره وفيه حديث مرفوع خرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعا فيحتمل أن يقال في الصوم إنه لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفى أجره فيها)). ((لطائف المعارف ص ١٥٢/١)).

[الصوم لي وأنا أجزي به][1]، دل على أن الصائم يمارس عملا هو صادق فيه، لأنه بإمكانه أن يأكل ويشرب دون أن يشعر به أحد، ودون أن يراه أحد، ويقول للناس إني امرؤ صائم.

١٣- من ثمار الصيام أنه ينمي جهاد النفس، يا إخوة! ترك الحرام ليس سهلا لمن تضعف نفسه أمامه، الأصعب منه أن تترك المباح قربة إلى الله ﷻ، لأن الحرام حتى وإن كانت للنفس فيه ميول إلا أنها تشعر بالإثم، ولكن المباح الذي أباحه الله لها اعتادت على ممارسته، فيصبح لحظة من اللحظات حراما، هذا الماء قبل أذان المغرب حرام، وبعده حلال، ما بين الحلال والحرام ليس نوعه إنما الزمن، مع أنه قبل الأذان نفسه تشتهيه، فهذا المباح تركه على وجه التعبد فيه جهاد، وكذا أهلك فالنفس تشتهيهم وقد أحلهم الله لك، لكن وقت الصيام فهم حرام عليك، بل احذر من الخطوات التي لربما تضعف النفس معها.[2]

١٤- ومن ثمار الصيام الشعور بالجائعين والعاطشين، أنت تترك الطعام والشراب لا عجزا عن تحصيله لأنه بين يديك لكنه محرم عليك، فكيف هو بمن ليس في أيديهم وعاجزون عن حصوله، يشعر الأغنياء وذوي القدرة بالجائعين والعطشى، لذلك فإن من أعظم الأعمال في الصيام تفطير الصائمين، ولذلك قال النبي ﷺ: [من فطَّر

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : لَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الصِّيَامِ حبس النفس عن الشهوات، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها، وَقَبُولِ مَا تَزْكُو بِهِ مِمَّا فِيهِ حَيَاتُهَا الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مَجَارِي الشَّيْطَانِ مِنَ الْعَبْدِ بِتَضْيِيقِ مَجَارِي الطَّعَامِ والشراب، فَهُوَ لِجَامُ الْمُتَّقِينَ، وَجُنَّةُ الْمُحَارِبِينَ، وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ المقربين، وهو لرب العالمين من بين الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ الصَّائِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يترك شهوته، فهو ترك المحبوبات لمحبة الله، وهو سر بين العبد وربه، إذ العباد قد يطلعون عَلَى تَرْكِ الْمُفْطِرَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكَ ذلك، لأجل معبوده، فأمر لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّوْمِ. ((زاد المعاد: ٢٨/٢)).

صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا][1]، فالرجل يصوم وعندما تفطره وتطعمه تصبح أنت وهو في الأجر سواء.

إذا من ثمار الصيام التكافل الاجتماعي الذي لله لا لأجل عباد الله، فأنت تطعمهم لوجه الله وإحسانا لهم، إطعام لأجل الله ليس لأجل مساومة، أو إطعام فيه رجاء أثر دنيوي، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[الإنسان: ٩]، هذا هو الإطعام الذي يغرس فعلا حقيقة التكافل الاجتماعي، لا لطمع نفعي ولا لتحصيل دنيوي.

١٥ـ من ثمار الصيام هذه اللقاءات بين المسلمين في بيوت الله، كصلاة الجماعة، وصلاة التراويح، وغيرها من العبادات.

١٦ـ من ثمار الصيام مظاهر الوحدة بين المسلمين، من قبل يوم رمضان الناس في دنياهم، لكن في أول رمضان الناس كلها صامت، قال النبي ﷺ: [الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون][2]، فيه مظهر من مظاهر الوحدة بين المسلمين، حتى في مأكلهم ومشربهم.

١٧ـ ومن ثمار الصيام أنه مدرسة تتربى فيه الأجيال، تتربى في الناس على مظاهر الصبر، ومظاهر الإنفاق، ومظاهر التدين والتنسك والاستقامة.

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن برقم (٨٠٧) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٦٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال حسن غريب.
وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقال: إنما معنى هذا أن الصوم والفطر مع الجماعة وعِظَم الناس. قال العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (صحيح).

١٨ـ ومن ثمار رمضان القدرة على التغيير، فأنت قادر على التغيير ليس فقط على نفسك وأهلك، بل على مستوى عموم المسلمين من مشارقها إلى مغاربها، لا تقل لا أستطيع أن أغير، بل تستطيع أن تغير، ألم تترك المباحات؟ غيرت إذا، فمن باب أولى أن تكون قادرا على ترك المحرمات، لا تقل أنا عندي وتيرة معينة ونسق معين لا أستطيع أن أغيره، فرمضان يغير جميع البرامج كلها، ويغير كل السلوكيات حتى طريقتك في الأكل والنوم.

١٩ـ من ثمار الصيام الروحانية التي يجدها الناس فيما بينهم على مستوى العالم الإسلامي كله، لأنه يُمارس عبادة عظيمة.

فمثلا الصلاة نحن نصلي وغيرنا نائم، نحن نهار وغيرنا ليل، لكن رمضان كلنا نمارس عبادة، كل الأمة الإسلامية تُمارس عبادة.

٢٠ـ من ثمار الصيام أن هذه العبادة ليست بسيطة في زمنها، بل من العبادات التي تعتبر في الزمن أطول العبادات بعد الحج، لأنها عبادة تستمر من الفجر الثاني إلى غروب الشمس، ليست ساعة ولا عشر ساعات، بل بعض البلدان ١٩ ساعة إلى ٢٠ خاصة البلدان التي ليلها قصير.

٢١ـ من ثمار الصيام قوة الإيمان في ترك المعاصي، لماذا؟ لأن الصيام (فتح الله له أبواب الجنان، وغلقت فيه أبواب النيران وصفدت الشياطين).

إذا من ثمار الصيام أنه وقت مناسب للاستقامة، ولذلك نعرف أناسا كثيرين من الله عليهم بالتوبة في رمضان، فكان بداية انطلاقته، فتربت نفسه واستقامت، لأنها تسلسلت به الأمور، فكان رمضان سبب استغفار وتوبة، فتأثر واستمر فاطمأنت نفسه، وأصبحت تتأثر بالعبادة، قال الله ﷻ: ﴿الذين آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فآثار الصيام آثر كثيرة ذكرْنا شيئا منها، أسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح، والفقه في الدين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عُقدت هذه المحاضرة يوم السبت

الثالث/من رمضان/١٤٣٩هـ

بعد صلاة العشاء بجامع محمد بن

حمد آل خليفة بمملكة البحرين

قام بتفريغ الكلمة وترتيبها تلميذ الشيخ

أبو البراء هاشم بن عمر بن علي باحاج

عصر السبت/٢٥ شعبان/١٤٤١هـ

راجعها شيخنا وأذن بنشرها